

الحياة

«يا لهذا الحذاء الكريه، كم صوته عال، سأصمت لعلني أحسن التفكير والخروج من هذا المازق.. أين أخبئ هذا الدفتر.. كم أكرهك يا دفتري.. معك أقضي أسوأ الأوقات، برؤيتك يسوء حالي، بسببك أكل (العلاقات) الساخنة.. آه.. كم تؤلم العلكة.. علي أن أحسن إخفاءك هذه المرة.. كم أكره الإملاء.. دائما أحصل على علامات سيئة فيه.. والذي يفتش دفتري الكريه هذا.. ليعرف علاماتي.. لا أدري كيف علم يوم أمس أن الأستاذ سيعطينا إملاء اليوم.. بالإضافة إلى هذا، فالأستاذ سريع ومتفرغ اليوم.. قام بتصحيح قطع الإملاء.. وأعطانا الدفاتر.. لا بد أن أبي سيرى علامتي ويحصل المعهود.. علكة ساخنة جديدة.. هو لم يخبرني بأنه سيعاقبني على علامتي إن كانت سيئة.. إني أتوقع ذلك أين سأخبئه؟؟ أين؟؟ سأخلع حذائي.. لأنه عالي الصوت.. لماذا علينا أن نلبس الأحذية في البيت؟! شيء آخر ليس له معنى.. سأبحث في المطبخ.. علي أجد المكان المناسب لإخفاء هذه (المصيبة).. ما هو أكثر سوءا.. إذا لم يكن هناك «علكة» فهناك حرمان المصروف.. أو تقليل له.. أو منع من مشاهدة التلفاز.. أو إخفاء للكرة لمدة أسبوع أو منع من اللعب مع «مهند» - ابن الجيران - أو أبسط العقوبات.. حرمان من عشاء الليلة!!

جاءتني فكرة شيطانية.. سأخبي الدفتر في أحد قدور المطبخ.. لن يتوقع أحد وجود دفتري (العزیز) هنا.. في أي قدر أخفيه؟.. هذا.. وجدته.. قدر (التيقال) بهدوء شديد.. حتى لا أصدر صوتا. لقد خبأت الدفتر وارتحت من همه.. آه سأهرول خارجا!! انطلق الصغير حسام خارجا ليلعب مع مهند صديقه..

الساعة تدق الساعة مساء.. حان الوقت لكي تقوم أمه بتحضير الطعام للعشاء إن أمه تستعمل قدر «التيقال» أكثر من غيره.. لأن الطعام لا يلتصق به.. أخذت أمه القدر وفتحته.. وفوجئت بدفتر الشاطر حسام يطل عليها من جوف القدر الفارغ، أمسكت الدفتر بيديها.. تأملت جماله.. فتحتة على آخر صفحة فيه.. وشاهدت علامة حسام.. وضعت الأم القدر على طاولة المطبخ.. وأخذت الدفتر معها ومضت إلى غرفتها.. جاء حسام ليشرب ماء.. وعندما دخل المطبخ.. فوجئ بالقدر على الطاولة.. «يا إلهي.. القدر على الطاولة؟! ما الذي جاء به هنا.. القدر فارغ.. لقد وجدوا الدفتر، يا للكارثة.. ترى من وجده؟ أمي؟ أم أبي؟ أم أختي وسام؟»

خرج حسام من المنزل.. عاد لمهند الذي ينتظره ليكملا اللعب بعد تناوله للماء.. سأله مهند..
- هل شربت ماء يا حسام؟
- لا.. لم أشرب..

لقد بدا الشعر الحديث أكثر نفاذا إلى أعماق القضية البوسنية وأبعد عن المباشرة في حين برز في الشعر التقليدي الوضوح وصدق المشاعر، وإن كان لا يخلو من مباشرة. وهكذا أمدت مأساة البوسنة الشعر العربي المعاصر برغد غني من الإلهام يُعد إضافة هامة إلى أدبنا العربي والإسلامي، وامتدادا لأدب النكبات في تراثنا الشعري، ودعوة للمسلمين لتوحيد جهودهم ذودا عن ديارهم.. ودفاعا عن أوطانهم.. حتى تشرق الشمس من جديد.

الهوامش:

- (١) ديوان البوسنة والهرسك ص ٤٦.
- (٢) ديوان البوسنة والهرسك ص ٧-٨.
- (٣) ديوان البوسنة والهرسك ص ٨٥.
- (٤) ديوان البوسنة والهرسك ص ٨٢-٨٣.
- (٥) ديوان البوسنة والهرسك ص ١٣.
- (٦) ديوان البوسنة والهرسك ص ٢٠.
- (٧) ديوان البوسنة والهرسك ص ٢٢.
- (٨) ديوان البوسنة والهرسك ص ٢٨.
- (٩) ديوان البوسنة والهرسك ص ٣١.
- (١٠) ديوان البوسنة والهرسك ص ٣٤.
- (١١) ديوان البوسنة والهرسك ص ٣٨.
- (١٢) ديوان البوسنة والهرسك ص ٥٣.
- (١٣) ديوان البوسنة والهرسك ص ٥٩.
- (١٤) ديوان البوسنة والهرسك ص ٦٩.
- (١٥) ديوان البوسنة والهرسك ص ٧٤.
- (١٦) ديوان البوسنة والهرسك ص ٩٣.



بقلم:
بشرى
حيدر*



- لماذا؟

...

- هيا نكمل اللعب إذن..

- ليست لي رغبة.. سنلعب في الغد..

دخل حسام البيت.. مرّ إلى جانب المطبخ وهو يمشي على أصابعه.. يرسل عينيه في أرجاء المطبخ.. أمه هناك.. «أمي في المطبخ..» «التيفال» فيها الطعام على النار. ياه.. جاءت أخته وسام من خلفه.. وضعت يدها مازحة على كتفه وقالت:

- ماذا تفعل؟

حينها ارتجف حسام من الخوف.. فكره معلق بالدفتري والقدر وأمّه.. قال لأخته خائفاً:

- لا شيء -- لا شيء..

مضى إلى غرفته.. بدل ملاپسه، رتب هندامه..

غسل يديه وقدميه، ثم توجه نحو المطبخ، دخل متظاهراً بأنه عطشان.

- كيف حالك يا أمي؟ ماذا أعددت لنا على العشاء الليلة؟

- افتح (التيفال) وستعرف..

«وهل أوقعتني في البلاء إلا التيفال يا أمي.. اتجه حسام نحو التيفال، رفع الغطاء فإذا به يرى صنفاً من الطعام لا يحبه.. فقال في نفسه.. أفضل.. حتى إذا حرمت من عشاء الليلة فلن أبالي..» لم يجرؤ حسام أن يسأل أمه عما كان في التيفال قبل هذا الطعام.. وظلت أمه تنظر إليه بطرف عينها.. هي تراه يدور يشرب بين الفينة والأخرى ماء.. أو يبحث عن لا شيء في المطبخ.. كأنه يقول لها (أنا هنا ألا تريدان إخباري بشيء ما؟)

جاء والد حسام.. اجتمعت الأسرة على المائدة.. تناول الجميع العشاء.. حسام خاف أن ينظر إلى أحد أفراد العائلة.. فشعور أكيد يملكه بأن الجميع قد عرفوا بقصة الدفتري.. فتناول طعامه بسرعة.. ذهب إلى غرفته.. أغلق الباب.. استعد للنوم «غدا الخميس.. الحمد لله.. ليس هناك مدرسة»..

بعد قليل.. دخلت أمه غرفته.. عندما سمع صوت أحدهم يدخل غطى حسام رأسه بالغطاء، متظاهراً بالنوم.. والخوف يتجاذبه.. من هذا.. أبي؟ أمي؟ أم وسام؟ إذا كان أبي فسيكون قد علم بالأمر.. أما إذا كانت أمي..

- حسام؟ هل نمت يا صغيري..

إنها أمي..

- حسام؟ قم يا حبيبي أريدك في أمر ما..

رفع حسام الغطاء عن رأسه.. فرأى وجه أمه الجميل مبتسماً فتفائل خيراً، ولكنه عندما شاهد دفتريه بين

يديها.. تشاءم جداً..

- أعرف ما هذا يا حسام؟ إنه دفتري الإملاء.. إنها المرة الأخيرة التي سوف أسمح لك فيها بأن تحصل على مثل هذه العلامة.. تدرب جيداً على الإملاء.. ولن تحصل على علامة بهذا السوء.. هل تعدني..

- نعم يا أمي..

تحتضن الوالدة ابنها..

- أنا أحبك يا حسام.. وستكبر في نظري كثيراً إذا تصرفت كرجل ووفيت بوعديك هيا.. قد أعددت لك الكعكة التي تحبها.. تعال خلقي.. لنأكل منها جميعاً..

خرج حسام خلف أمه.. ولقد تشجع على تناول الكعكة، ولم يعد خائفاً من تناول «العقّة». فلربما في المرة القادمة.. عندما يأخذ إملاء.. سيحصل على علامة جيدة وتكون هذه الكعكة بمثابة مكافأة..

* بشرى حيدر: أديبة أردنية ناشئة، تكتب القصّة القصيرة.

صدر لها: «حكايات من بلدي»، و«الصفير».